مبحث التوحيد

050

مناقشة في قاعدة
(نثبت الصفات من غير تعطيل أو تشبيه أو تمثل أو تكييف)

كتبه: القناص الرافضي
Twitter (X): @raafedy

المناقشة الأولى

أولًا: تحليل القاعدة

1. إثبات الصفات دون تعطيل

- يقولون إن إثبات الصفات واجب، ولكن لا يجوز تعطيلها (أي نفيها أو تأويلها).
- يترتب على ذلك إثبات معانٍ ظاهرية للنصوص التي قد تفهم على نحو مادي أو حسي، مثل "يد الله"، "وجه الله"، "استوى على العرش"، وغيرها.

2. نفي التشبيه والتمثيل

- رغم إثباتهم لهذه الصفات، يرفضون القول بأنها تشبه صفات المخلوقين.
- يقولون إن لله يدًا ليست كأيدينا، واستواءً ليس كاستواء البشر، إلخ.

3. نفي التكييف

- يقولون إننا لا نعرف كيفية الصفات، ولكننا نثبتها كما جاءت.

ثانيًا: التناقض العقلي في القاعدة

1. التناقض بين الإثبات ونفي التشبيه

إثبات شيء يستلزم تصور ماهيته، فإذا أثبتوا "يدًا" لله، فقد تصوروا يدًا بأي شكل كان، فإن قالوا إننا لا نعرف كيفيتها فقد وقعوا في التناقض، لأنهم أثبتوا شيئًا لا يمكنهم تعريفه ولا تصوره.

مثال توضيحي:

لو قلت لشخص "عندي مخلوق اسمه زيد، لكن لا يشبه البشر، ولا يشبه الحيوانات، ولا يشبه أي شيء تعرفه"، فهل هذا إثبات حقيقي أم مجرد لفظ بلا معنى؟

الجواب:

إذا لم يكن يشبه أي شيء، فليس هناك أي معنى عقلي لإثباته أصلًا.

2. مشكلة نفي التكييف مع إثبات الصفات

عندما يقولون: "لله يد، لكن لا نعلم كيفيتها"، فهم وقعوا في إشكال منطقي:

- إما أن كلمة "يد" لها معنى معين، وفي هذه الحالة فقد وقعوا في التشبيه.
- أو ليس لها أي معنى مفهوم، ففي هذه الحالة أصبح الكلام بلا معنى.

مثال عملي:

تخيل شخصًا يقول: "أؤمن بوجود شجرة، لكنها ليست من نبات، وليس لها جذع ولا أوراق ولا فروع، ولا يمكن تصور كيفيتها."

الجواب:

هذا ليس إثباتًا بل هو نفي للمعنى الحقيقي لكلمة "شجرة."

3. الفرق بين الإثبات الحقيقي والإثبات اللفظي

- إثبات شيء مع نفي أي معنى يمكن إدراكه له هو مجرد تلاعب بالألفاظ وليس إثباتًا حقيقيًا.
- إذا كان الله "يستوي على العرش"، فإما أن يكون الاستواء بمعناه الحقيقي، وهو الجلوس أو الاستقرار، وحينها وقعوا في التجسيم، أو يكون له معنى آخر، وهنا يضطرون إلى التأويل الذي يرفضونه.

ثالثًا: الرد على الفروض التي يطرحها أصحاب هذه القاعدة

الفرض الأول:

"الله وصف نفسه بهذه الصفات في القرآن، فوجب إثباتها كما وردت"

الرد:

نعم، الله وصف نفسه بصفات، ولكن ليس كل وصف لله يجب أن يُفهم بالمعاني الحسية.

القرآن نفسه فيه آيات مجازية مثل:

{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ} (النحل: 78) فهل الأفئدة (القلوب) هنا يقصد بها مجرد العضو الجسدي؟ أم تعني العقل والروح؟

{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ} (التوبة: 67)، فهل الله ينسى كما ينسى الإنسان؟

فبالتالي، إثبات الصفات لا يعني بالضرورة فهمها على المعاني الظاهرية.

الفرض الثاني:

"إثبات الصفات كما جاءت لا يعني تشبيهها بصفات المخلوقين"

الرد:

هذا تناقض لأن اللغة العربية تحتم وجود مفهوم لكلمة "يد"، "وجه"، "استواء"، إلخ.

لا يمكن أن تثبت شيئًا بلا معنى، وإلا كان عبثًا لفظيًا.

الفرض الثالث:

"نحن نثبتها دون تكييف، فالإشكال غير وارد"

الرد:

نفي التكييف مع إثبات شيء غير مفهوم هو مجرد تناقض منطقي.

إذا كانت الصفة موجودة، فلا بد أن يكون لها مفهوم، وإلا كان الكلام بلا معنى.

رابعًا: البديل المنطقي لهذه القاعدة

منهج أهل البيت (عليهم السلام) هو التنزيه، أي إثبات وجود الله وصفاته الكمالية، ولكن دون إثبات صفات حسية أو مادية له.

الإمام الباقر (عليه السلام) قال: " كلما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم".

الله لا يحتاج إلى يد أو وجه أو استواء، لأنه ليس كمثله شيء.

الخلاصة:

قاعدة (نثبت الصفات بلا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف) متناقضة منطقيًا لأنها تثبت شيئًا لا يمكن تعريفه أو فهمه.

إثبات الصفات مع نفي أي تشابه مع المخلوقات هو مجرد تلاعب بالألفاظ، لأن أي إثبات يستلزم فهمًا معينًا للصفة.

الحل الصحيح هو التنزيه كما جاء في مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، أي نفي التجسيم وإثبات الصفات الكمالية لله بلا تشبيه أو تجسيد.

المناقشة الثانية

أولًا: أوجه التناقض في القاعدة

1. التناقض بين الإثبات ونفي التكييف

إثبات الصفات يتطلب وجود تصور عنها، فإذا قالوا إن لله "يدًا"، فهذا يعني أن هناك مفهومًا لل"يد."

لكنهم في نفس الوقت يقولون: "لا نعلم كيفيتها"، فكيف يثبتون شيئًا بلا كيفية ولا معنى؟!

الإشكال العقلي:

هل يمكن أن يوجد شيء بلا كيفية؟ هذا مخالف لقوانين العقل، لأن كل موجود له كيفية ما، حتى لو كانت مجهولة لدينا.

مثال توضيحي:

إذا أخبرك شخص بأنه يملك "كائنًا" لكنه ليس إنسانًا ولا حيوانًا ولا نباتًا ولا جمادًا ولا طاقة، فهل لهذا الكلام معنى؟ أم أنه مجرد كلام بلا مدلول حقيقي؟

2. مشكلة الاشتراك اللفظي

إذا كان الله قد وصف نفسه بـ"اليد"، فإما أن تحمل نفس المعنى اللغوي المعروف أو لا.

- إذا حملت نفس المعنى، وقعوا في التشبيه.
- وإذا قالوا إنها لا تعني يدًا بالمعنى المعروف، فقد قاموا بالتأويل الذي يرفضونه هم أنفسهم!

مثال عملي:

- إذا قلنا إن "يد الله" لا تعني يدًا حقيقية، بل هي رمز للقدرة، فهذا تأويل، وهو ما يعترضون عليه.
- وإذا قالوا إنها يدٌ حقيقية، فقد وقعوا في التجسيم والتشبيه.

3. إشكالية نفي التعطيل مع نفي التشبيه

التعطيل في اصطلاحهم يعني نفي أي صفة وردت في النصوص.

ولكن نفي التشبيه يستلزم أن هذه الصفات ليست كما نفهمها نحن.

بالتالي، إما أن يكون هناك تعطيل جزئي (لأنهم يرفضون التشبيه)، أو أنهم وقعوا في التشبيه لكن يرفضون الاعتراف بذلك.

مثال توضيحي:

لو جاء شخص وقال: "لدي حصان، لكنه ليس له جسم، وليس له أرجل، وليس له رأس، وليس له أي شكل معروف"، فهل هذا إثبات لوجود الحصان أم نفي له بطريقة ملتوية؟

ثانيًا: الردود العقلية والفلسفية

1. استحالة إثبات شيء بلا كيفية

الكيفية ليست شيئًا زائدًا على ذات الصفة، بل هي جزء منها.

لا يمكن أن نتصور "يدًا" بلا كيفية، لأن أي موجود له كيفية، حتى لو كنا نجهلها.

قولهم "لله يد بلا كيف" يشبه قول شخص "أنا أؤمن بأن هناك جبلًا من ذهب، لكن لا أستطيع أن أتصوره."

2. القانون العقلي: التلازم بين الاسم والمسمى

كل لفظ يدل على معنى معين، وإذا تم سلب كل المعاني الممكنة عن ذلك اللفظ، فإنه يصبح بلا فائدة.

كلمة "يد" في اللغة العربية تشير إلى عضو معين له خصائص، فإذا نُفيت عنه جميع خصائصه، فماذا بقي؟ مجرد لفظ فارغ لا معنى له.

3. قانون نفي التشبيه يؤدي إلى نفي الإثبات

إذا أثبتوا أن لله يدًا، ثم قالوا إنها لا تشبه أي يد معروفة، فماذا يعني ذلك؟

هذا يؤدي إلى أن كلمة "يد" فقدت معناها، وأصبحت مجرد صوت بلا معنى.

مثال توضيحي:

لو قلنا إن "البحر" موجود، ثم قلنا إنه ليس ماءً، وليس فيه أمواج، وليس فيه ملوحة، وليس له حجم، فهل هذا "بحر" أم لا؟

ثالثًا: الردود النقلية من القرآن والعقل الشيعي

1. القرآن ينفي التشبيه تمامًا

قال الله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى: 11)

نفي أي مشابهة بين الله وخلقه يستلزم نفي أي تصور حسّي للصفات الإلهية.

2. تفسير أهل البيت (عليهم السلام) للصفات الإلهية

الإمام الباقر (عليه السلام) قال: "كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم".

أي أن الله لا يُقاس بالمخلوقات، وأي تصور بشري عنه هو مخلوق عقليًا وليس حقيقة إلهية.

الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: "كلٌّ قائلٍ بِالتَّشبيهِ جاهِلٌ بِاللَّهِ، وَكُلُّ قائلٍ بِالتَّعطِيلِ جاهِلٌ بِاللَّهِ".

وهذا يعني أن التشبيه والتجسيم خطأ، كما أن التعطيل (أي نفي الصفات الكمالية كالعلم والقدرة) خطأ أيضًا.

3. منهج التأويل العقلاني في مدرسة أهل البيت

أهل البيت (عليهم السلام) يفسرون الصفات الإلهية بمعانٍ عقلية، لا مادية:

"يد الله" تعني القدرة.

"استوى على العرش" تعني السيطرة والحكم، وليس الجلوس.

"وجه الله" تعني ذات الله أو رضاه.

رابعًا: تفنيد أبرز حجج القائلين بهذه القاعدة

الحجة الأولى:

"إثبات الصفات كما جاءت هو المنهج الصحيح"

الرد:

إثبات شيء دون فهمه أو معرفة معناه ليس منهجًا علميًا.

حتى في الحياة اليومية، لا يمكن إثبات وجود شيء بلا إدراك لحقيقته.

الحجة الثانية:

"التكييف يعني إدخال الصفات في القياس البشري، ونحن لا نفعل ذلك"

الرد:

حتى لو لم يحددوا كيفية معينة، فمجرد استخدام ألفاظ حسية كـ"يد" و"استواء" يوجب وجود معنى لهذه الكلمات، وإلا أصبحت مجرد أصوات بلا مدلول.

الحجة الثالثة:

"السلف الصالح كانوا يثبتون الصفات بدون تأويل"

الرد:

هذا الادعاء غير دقيق، فهناك من أوّل الصفات، ولا يهم هل يخطّئونهم أم لا، المهم أنهم أوّلوا، فمنهم:

بعض الصحابة والتابعين

الطبري في تفسيره ج23 ص554: يقول تعالى ذكره (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) قال جماعة من الصحابة والتابعين من أهل التأويل: يبدو عن أمر شديد.

ابن جرير الطبري

الطبري في تفسيره ج10 ص452: بل يداه مبسوطتان بالبذل والإعطاء وأرزاق عباده وأقوات خلقه، غيُر مغلولتين ولا مقبوضتين "ينفق كيف يشاء"، يقول: يعطي هذا، ويمنع هذا فيقتِّر عليه. وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

الطبري في تفسيره ج1 ص457: قال أبو جعفرٍ: وأوْلَى المعاني بقولِ اللهِ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾: علَا عليهن وارتفَع، فدبَّرهن بقدرتِه وخلَقهنَّ سبعَ سماواتٍ

الطبري في تفسيره ج16 ص60: قال أبو جعفرٍ: والقراءةُ التي لا أستجيزُ القراءةَ بغيرها: ﴿وَلِتُصْنَعَ﴾ بضمِّ التاءِ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرأةِ عليها. فإذ كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين به التأويلُ الذي تأوَّله قتادةُ، وهو: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾: ولتغَذَّى على عينى ألقيتُ عليك المحبةَ منى.

وعنى بقولِه: ﴿عَلَى عَيْنِي﴾: بمرأًى منى ومحبةٍ وإرادةٍ.

السخاوي

السخاوي في تفسيره ج1 ص229: قالت اليهود: إن الله لن يبسط النفقة علينا، وله القدرة وسعة المملكة، فلعنهم الله، ورد عليهم بقوله: {بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ} أي: هو أكرم الكرماء، وهذا مثل لجوده وكرمه، بحال من يعطي بيديه كلتيهما وإيقاد نار الحرب وإطفاؤها أيضا من باب الاستعارة.

أحمد بن حنبل

البداية والنهاية لابن كثير ج14 ص386: وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ، عَنِ الْحَاكِمِ، عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ السَّمَّاكِ، عَنْ حَنْبَلٍ، أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ تَأَوَّلَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى وَجَاءَ رَبُّكَ [الْفَجْرِ: ٢٢] أَنَّهُ جَاءَ ثَوَابُهُ. ثُمَّ قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: وَهَذَا إِسْنَادٌ لَا غُبَارَ عَلَيْهِ.

الشافعي

تفسير الشافعي ج1 ص220: فقال لجبريل - عليه السلام":- لوددت أن ربي صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرها"؛ فأنزل اللَّه - عز وجل: (وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) الآية. يعني - والله أعلم -: فثم الوجه الذي وجهكم اللَّه إليه

الخاتمة

القاعدة السلفية (إثبات الصفات بلا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف) قائمة على تناقضات منطقية.

لا يمكن إثبات شيء بلا فهمه، ولا يمكن نفي التشبيه دون الوقوع في التعطيل.

أهل البيت (عليهم السلام) قدموا المنهج الأصح وهو تنزيه الله عن أي صفة حسية، وإثبات صفاته الكمالية فقط.

النصوص الشرعية نفسها تدعم هذا الاتجاه، حيث ينفي القرآن صراحةً أي تشبيه بين الله وخلقه.

كتبه:

القناص الرافضي

Twitter-(X): @raafedy